

فكاهات

رقابة

الكيد المردود (١)

بينما كان اثنان من رجال شحنة باريس يؤديان نوبة حراستها في ليلة ١٣ يناير في شارع الاباليت وقد بلغت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل والثلج يتساقط كقطن النداف والريح تعصف عصفاً شديداً اذ بصرا في طرف الشارع برجل يسير على مهل وهو مطرق برأسه الى الارض ويداه في جيب دثار طويل وطوق الدثار يحجب نصف وجهه وعلى رأسه قبعة عالية . ثم ابصرا خلفه رجلاً يقرع الارض بحذاء ثقيل وهو متوكئ على عصا وعلى ظهره صندوق كبير فارتابا به وتقدما نحوه وامسك أحدهما بخنقه وصاح به الى اين تذهب ايها الرجل . فرفع رأسه ونظر اليهما نظرة ابله ولم ينطق بلبت شفة . اما الرجل الذي كان ماشياً امامه فانه عندما سمع صوت الشرطي اسرع خطوه حتى بلغ عربة كانت تنتظره فركب وسارت به سيراً حثيثاً . ولما رأى الشرطيان ان حامل الصندوق لا يجيب بكلمة ساقاه الى ديوان شرطة الحي حيث أنزل الصندوق عن ظهره وامر الضابط بطرحه في السجن وأوعز بفتح الصندوق فما رفعوا غطاءه حتى

تراجعوا مذعورين لانهم رأوا فيه جثة امرأة حسناء عليها حلة من الحرير الابيض المزركش ويداهما مكتوفتان على صدرها وبينهما زهرة ورد جنية وهي مطبونة في قلبها بخنجر له مقبض من العاج ونصله غائص الى المقبض . وبعد ساعة وصل رئيس الشحنة ومعه ضابط وطبيب فاقبل الطبيب يفحص الجثة وجيء بالرجل من سجنه وكان نائماً نوم الفهد فاستنطقه الرئيس فلم يجب بكلمة فاعز الى الضابط ان يطلق مسدساً في طرف الردهة فلم يبد حركة ولا التففت الى جهة الطلقة فايقن انه اصم اخرس فامر به فأعيد الى محبسه .

وكان في باريس رجل من اشهر رجال الشحنة السرية واحذقهم في كشف الجرائم يقال له المسيو ليكوك دي جنتيلي كان قد اقام في هذه الحرفة عشرين سنة أحرز فيها ثروة طائلة ثم اعتزلها واقام في منزله . فلما اصبح الرئيس قصد منزل المسيو ليكوك المذكور ليستعين به على كشف الجريمة وكان للمسب ليكوك ولد يدعى لويس يبلغ من العمر نحواً من ثمان وعشرين سنة قد خطب له فتاة حسناء غنية يقال لها تيريز ليكونت . فلما دخل الرئيس عليه وجد ولده المذكور عنده وهو شاب جميل الصورة اسمر اللون ذو لحية كثيفة وكان يشكو الى والده برداً اصابه في الليلة البارحة على اثر رجوعه من منزل صديق له اذ لم يجد عربة بعد خروجه فمشى نحو ساعة على الثلج . فقص الرئيس على ليكوك تفاصيل الحادثة وسأله الاخذ بيده في الوصول الى معرفة الجاني فاجابه لاشك ان الرجل الاخرس بريء من الجريمة وانما القاتل رجل غيره استخدمه لحمل الصندوق وهو لا يدري

ما فيه وعندي ان افضل وسيلة لمعرفة الجاني ان تطلقوا سبيل الاخرس
فيرشدكم الى منزله دون أن يدري . أما سؤالك لي ان اتولى كشف الجناية
بنفسي فهذا مما لا استطيعه ولكنني ادلكم على الجاسوس الانكليزي الذي
اتى من لندرا في السنة الماضية وهو الذي يسمي نفسه تلياك دي تشبراي
فانه خير باكتشاف الجرائم فيمكنكم ان تعتمدوا عليه في الوصول الى
معرفة الجاني

نخرج الرئيس من منزل ليكوك وسار توتاً الى السجن وأمر اثنين من
حذاق رجاله اسم احدهما بيدوش والآخر بيكاش بان يتكرا ثم اطلق
الاخرس من السجن وامرهما بان يتبعاه من بعيد . فسار الرجل سير غريب
تارة يتلفت وتارة يجلس او يمشي غير مهتدي الى مكان يعرفه او شخص
يأنس به ثم قفل راجعاً الى السجن . واتفق ان المسيو ليكوك كان ماراً مع
ولده فراه رئيس الشحنة وأخبره بان طريقته لم تسفر عن نتيجة . فإشار عليه
بان يرسل الرجل في مركبة السجن الى المكان الذي أمسك فيه ثم يطلق
سبيله فجري على مشورته ولما أنزل الاخرس من المركبة وقف هنيهة جامد
البصر ثم اخذ يسير حتى وقف امام منزل صغير حوله سور من حديد وقرع
الجرس مراراً فلم يفتح له أحد . نخرج الرئيس من مركبته واتى فقاد
الاخرس اليها ووكّل أحد الشرطين بحراسته وامر الآخر بحراسة الباب
وصعد هو الى المنزل . وكان اول ما رآه آثار أرجل على الثلج ممتدة من
الشارع الى المنزل بعضها كبيرة وبعضها صغيرة فحسب أن الاولى آثار
الاخرس لانه تين فيها اثر مساهير حذائه والثانية آثار قدم القاتل . ثم اجتاز

الدهايز فوجد فيه صناديق مبعثرة بينها صندوق يشبه صندوق الجثة .
ودخل احدى الغرف وكانت ردهة الاستقبال فرأى في الموقد أوراقاً محرقة
ووجد في غرفة أخرى ساعة كبيرة منصوبة على الارض ومائدة عليها اوراق
لعب مصنوفة اشكالاً وكريسيّاً ساقطاً قربها فقال في نفسه ان المرأة لابد ان
تكون قد قتلت هنا وهي تلعب لعباً يسمى عندهم « لعبة الصبر » واكثر
من يلعبها العشاق والخطّاب . ثم دخل غرفة الاكل فوجد على المائدة أدوات
الطعام مهياًة لشخصين ولكنها بلا نظام وفي الارض كرسى مكسور
وبجانبه قطع صحون وشظايا زجاج وبقع دم . وتبع رشاش الدم فراه
متسلسلاً الى غرفة أخرى دفع بابها واذا أمامه جثة ملقاة على ظهرها تين
له انها جثة رجل يناهز الخمسين كبير الجسم قوي البنية وعليه لباس اهل
النعيم وسلسلة ساعته مدلاة من جيب صدرته البيضاء وفي رأسه اثر ضربة
بعضا ذات رأس معدني محدّد وجملة هيئته تدل على انه من اكابر التجار
وعلى ان قاتله لم يبطش به بغية ان يسلب مامعه . فعاد الى الباب وأمر
الشرطي بان يعيد الاخرس الى السجن وأمر رفيقه بان يحرس السور ثم قال
له كن على حذر حتى اذا صفرت لك اسرعت اليّ فاني سأرصد رجوع
خادمة المقتولة لانها اختفت كما بلغني وهي قد تعود لتأخذ صناديق مولاتها .
ثم صعد الى المنزل واختبأ في خزانة الساعة بحيث يرى ولا يُرى وعند
منتصف الليل فتح الباب ثم سمع وقع اقدام في الدهايز واقترب الداخل
من الغرفة التي كان فيها ونادى « ماري . ماري . هل انت هنا » ولما لم
يسمع جواباً أزاح ستار الباب وبرز رأسه منه وكان الرئيس قد انار شمعة

ضعيفة فلمح قبعة الرجل وحلوة سوداء وفي تلك الساعة كان قد تب وبرد من طول الوقوف في ذلك الموضع الضيق فعماس عطسة شديدة وسقطت صفارته في الارض فلم يكن من الرجل الا انه انقض كالشاهين وتناول مفتاح الساعة من على المائدة وأقفل بابها ووضع المفتاح في جيبه وهرب تاركاً صياده في الفخ وخرج آمناً لان بيدوش عندما رآه واراد ان يستوقفه ابرز له اشارة تدل على انه من موظفي ديوان الشحنة فظن ان الديوان أرسله بمهمة الى الرئيس فحلى سبيله

ولما كان الصباح صعد بيدوش الى المنزل ونادى رئيسه فاجابه من داخل الخزانة بصوت يشبه صياح الديك فكسر بابها واخرجه وقد أوشك ان يموت من شدة البرد والجهد . وسأله الرئيس عن امر الرجل فاخبره فانها عليه بالتوبيخ الشديد وهدده بالطرد فاقسم له انه سيبدل وسعه في امساكه لانه حفظ هيئته وملابسه . فامر ان يذهب ويدعوه له رئيس شحنة الحي والجاوس الانكازي فاتي الاول ورأى جثة القتيل فقال انها جثة تاجر النسجة عظيم الثروة فقد منذ يومين ثم وصل الثاني واتفق مع الرئيس على ان يتولى كشف الجريمة على شرط ان يكون طليق اليد في جميع مباحثه ووعد بيدوش بالف فرنك اذا قبض على القاتل

اما القتيلة فعرفوا انها انكازية تدعى ماري فاسيت فخطوا جثتها وعرضوها في محل الاموات العام وكان بيدوش ورفيقه بيكاش واقفين في غرفة هنالك يتصفحان وجوه النمرين كانوا يتوافدون افواجا لمشاهدة الجثة حتى اذا كاد الظلام يرخي سدوله أوعز بيدوش الى رصيفه ان يخرج

ويتربح حركات فتى خيّل له أنه هو ذلك الرجل المحتال الذي أفلت منه
 فينا هو يبحث اذ رأى بين الجمع نشالاً انكازياً يضع يده في جيب امرأة
 فتعاون مع بعض رفاقه على امساكه ثم فتش بيدوش جيوبه فوجد فيها
 محفظة من جلد في جملة ما تحتوي عليه صورة المرأة المقتولة وخمسة صكوك
 مالية قيمة كل منها الف فرنك ورقعة عليها عنوان مدام ليكونت والدة
 خطيبة لويس ليكوك . فلما كان المساء ولويس ليكوك في منزل خطيبته
 وهم يتحدثون في امر العرس اذ دخل بيدوش عليهم متكرراً وكلف لويس
 أن يصحبه الى ديوان الشحنة ليسأله عن سبب وجود صورة القتيلة في
 محفظته المسروقة وبعد جدال طويل أجبر على ان يسير معه فصار وهو
 يقدم رجلاً ويؤخر أخرى وحاول في الطريق ان يرشوه بالصكوك المالية
 ليطاق سبيله فأبى

ولما وصل به الى ديوان الشحنة استنطقه الرئيس فتناول في الجواب
 وتلثم في الكلام وهو مصرّ على دعوى البراءة فاركبه في عربة وسار به
 الى منزله وبعد البحث وجد عنده عصاً ذات رأس من رصاص ملوث
 بالدم فثبت له أنه القاتل وحبسه

وفي اليوم التالي اتت خطيبته ووالدتها الى منزل والده تسألان عنه
 وهما في اشد حالات القلق ثم وفد رئيس الشحنة وبلغه ان ولده محبوس
 وشرح له القضية فوقع عليه هذا الخبر وقوع الصاعقة واستأذن في مواجهة
 ولده فأذن له ولكن الولد بقي مصرّاً على إنكار كل الشبهات والقرائن
 المتقدم ذكرها فلم يبق لاثبات الجريمة عليه الا ان يجمعوا بينه وبين

الآخرس . وهنا أقنع الجاسوس رئيس الشحنة بأنه يجب ان يكون الجمع بينهما في منزل المتهم دون ان يدري أحدهما بالآخر لأنه اذا رآه الآخرس في السجن خاف ولم يبد ما يدل على انه يعرف القاتل ثم قال الجاسوس انه يذهب هو بنفسه ويأتي بالآخرس في عربة مقلعة بحيلة غريبة وأمر بيدوش ورفيقه بان ينتظراه لدى باب السجن في الساعة الثامنة مساءً وهما متكرران واراها المركبة التي سيسير فيها الى السجن

ولما كانت الساعة المعينة وقفت العربة نفسها تجاه المكان وكان السجنان قد أخرج الآخرس موهاً اياه انه أطلق سراحه ولما خرج رأى العربة واقفة وبجانبها رجل يشير اليه ان يأتي نحوه وكان لباسه كلباس الرجل الذي رآه الشرطيان في ليلة الواقعة ماشياً على الشايج فسار الآخرس الى ناحية العربة فاركبه الرجل على الفور وانطلق به كالريح . وظن الشرطيان ان مهمتهما قد انقضت فهما بالرجوع ولكنهما ما تقلا أرجلهما حتى بصرا بعربة أخرى تشبه العربة الاولى تماماً ونزل منها رجل لابس كالاول فاستولى عليهما دهش عظيم وتقدم بيدوش منها فرأى تليياك الجاسوس فقال له ماذا تنتظر لقد ذهب الآخرس وقضى الامر . فاستغرب كلامه وقال لقد خدعتماني اذاً وإن في الامر لدسياسة اتما اللذان دبرتماها دون شك لتوقماني في تهلكة وأنت المذنب الاكبر يا بيدوش ولست اعلم بكم رشاك ليكوك لتخلص ولده من اصدق شاهد على جنايته . . .



وكان من نتيجة هذه الحادثة أن رئيس الشحنة طرد بيدوش بعد ان

حبسه اياماً وقد ايقن ان ليكوك استنبط تلك الحيلة لينجي ولده من القتل .
اما ليكوك فلبث ضائع الرشد وهو لا يدري ما يصنع فهجر منزله وهام على
وجهه كالمجنون وبعد ثمانية ايام التقى به بيدوش في حديقة التويلري فأخبره
بما جرى له وسأله ان يصفح عنه لانه كان السبب في اتهام ولده . فطيب
ليكوك نفسه ثم أخذ بيده فاجلسه الى جانبه واخذ يتحدثان في الامر لعلها
يهتديان الى شيء من خفاياه فاسفر لهما البحث عن انه لا بد من سر
في امر العربية والاخرس وان دخول الجاسوس في هذه المسئلة لا يخلو من
دسيسة ثم تفارقا على ان يوجها كل بحثهما الى دخائل هذا الرجل والوقوف
على جميع حركاته وسكناته والغرض الذي لاجله قدم باريس واقام فيها تلك
المدّة . وفي الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم ذهب بيدوش الى منزل
ليكوك ومنذ ذلك الحين اختفت آثارهما من المدينة وخاف رئيس الشحنة عاقبة
امرهما فبثّ عليهما العيون والارصاد وبعد مضي ثلاثة اشهر انعقدت جلسة
الجنایات وحكمت على المتهم بالقتل فباتت ايامه معدودة وتأهب الناس
لليلة مشهودة

اما ليكوك فانه سافر مع بيدوش الى لندرا وجعل هناك يستخبر عن
مهمة تلبياك الجاسوس فعلم انه انما قدم باريس للبحث عن ورثة ضابط
انكليزي يدعى سوليخان توفي في الهند عن ثروة طائلة ولم تهتد الحكومة
الى ورثته . وبعد ما وقف على سائر احواله وسوابق حياته انقلب عائداً الى
باريس وقد تنكر بزّي امير هندي وصبغ بيدوش وجهه بالسواد وتنكر

بصفة خادم له . وحين وصوله نزل بفندق من اعظم فنادق باريس
 واشاع انه قدم من الهند ليبحث عن ورثة رجل انكليزي سماه باسم
 سوليكان ادعى انه خلص والده من خطر القتل وانه يريد ان يوصي لهم بماله
 في مقابلة جميل والدهم . ثم احتال حتى اجتمع بالجاسوس واجرى امامه
 ذكر مقصده فلما سمع الجاسوس ذلك استبشر وقال له انا ابحت لك عن
 أولئك الورثة وانهي اليك خبرهم بعد خمسة عشر يوماً

وفي اثناء ذلك كان بيدوش قد عرف رجلاً يدعى بطرس كبير عمر اخبره
 ان تليساك جاءه يوماً يستخبره عن نسب امرأته المتوفاة وان عنده صكاً
 قديماً يشير الى نسبها فاخذ بيدوش الصك منه وسلمه الى ليكوك فظهر له
 منه ان الارث ينحصر في اربعة اشخاص احدهم تيريز ليكونت خطيبة
 ولده وهي الوارثة الاولى ثم مرتا بنت كبير عمر وهي الوارثة الثانية ثم القتيلة واخ
 لها يقال له جورج اتكنس . ثم ان ليكوك استمر في بحثه عن احوال الجاسوس
 فعرف ان له منزلين متجاورين بضواحي باريس يقيم هو في احدهما مع
 خادمة القتيلة وهي امرأة خداعة متهمكة ويقيم بالآخر جورج اتكنس
 المذكور وهو رجلٌ سكير لا يكاد يصحو من سكره ولا يبي شيئاً من دنياه
 وبعد انقضاء الموعد المضروب بين الجاسوس والامير الهندي اقبل
 اليه الجاسوس واعلمه انه لم يبق من ورثة الضابط الانكليزي سوى
 شخص واحد يسمى جورج اتكنس مقيم بضواحي باريس فعلم ليكوك من
 ثم ما يدبره من المكائد وانه يروم اهلاك بقية الورثة وبعد ان لبث
 عنده هنيهة قام وانصرف . وعلى اثر ذهابه جاء بيدوش فاخبر ليكوك انه

رأى كبريم في ديوان الشحنة وقد حدث له حادثٌ مريب وهو ان ابنته مرتا خطفت من منزله في مدة غيابه أمس ذلك اليوم . فتحقق ليكوك المكيدة وقام من ساعته فانطلق الى دار الشحنة وطلب منها ان تُصحبهُ ببعض رجالها الى منزل الجاسوس بضاحية باريس فارسلت معه خمسة رجال فلما انتهوا الى هناك ارادوا دخول المنزل فانعمهم من هناك من اتباع الجاسوس فدخلوا سُرّةً بعد ما كسروا احد الابواب واخذوا يبحثون في عُرف المكان فوجدوا تيريز خطيبة لويس ليكوك ومرتا كبريم مطروحتين في جبّ في اسفل المنزل وهما مكتوفتان فاسرعوا وانتشلوهما وماكادوا يخرجون بهما الى الخارج حتى رأوا الجاسوس مقبلاً وهو يعرّبده وقد ايقن بافتضاح امره وفي يده مسدس يطلقهُ ذات اليمين وذات الشمال فاصاب احد رجال الشحنة برصاصة وقعت في كتفه وأسرع الى السلم فدخل وأقفل وراءهُ . وبينما هم القوم بكسر الباب والصعود اليه لامسواكه اذا بالنار قد اشتعلت في المنزل واطلّ الجاسوس من احدى النوافذ فاطاق عيارين اصاب باحدهما شرطياً آخر فالتقه قتيلاً ثم هوى البناء بمن فيه وغاب في سحابة من الدخان والهبّ فلم يتسنّ بعد ذلك امساك احد من المجرمين لان النار كانت قد شوتهم وحوّلتهم الى حمم

وبعد ذلك رجع ليكوك والبتان ورجال الشحنة الى باريس واسرع ليكوك الى المحكمة فاعلن براءة ولده وطلب استحضاره فلما مثل بين ايدي القضاة أعيد استنطاقه فأعترف بأنه احب القتيلة في انكلترا حين كان يتلقى الموم فيها وبعد رجوعه جاءت هي الى باريس بصحبة رجلٍ يقال له هري

درموت (وهو الاسم الذي كان تليباك معروفاً به في ديوان الشرطة) واتخذت لها منزلاً بها فكان يزورها حيناً بعد آخر وتعلقها بعد ذلك التاجر الذي وُجد مقتولاً في منزلها واشتدّت المزاحمة بينهما وكان التاجر يغار عليها منه إلى أن كانت تلك الليلة فهاجم التاجر عليه يقصد قتله وهو جالس إلى المائدة فقتله دفاعاً عن نفسه وخرج من المنزل والمرأة باقية فيه في قيد الحياة. ثم قصدها في الليلة التالية فلم يجدها ولا علم ما كان من أمرها إلى أن رآها بعد ذلك في معرض الاموات وفي ذلك الوقت انتشلت محفظته وكانت فيها صورة أعطته إياها في لندرا تفاؤلاً بأنه سيقترن بها يوماً. وذكر أنها كثيراً ما كانت تشكو ظلم الرجل الذي جاء بها من لندرا وأنه أراد أن يجبرها على الاقتران به فأبت وعزمت على السفر وكانت تنوي أن تسافر في غد تلك الليلة

ثم قصّ المسيو ليكوك ما اختبره بنفسه من أمر الجاسوس والميراث وبرهن على أنه هو قاتل المرأة بكل ما اطلع عليه من البينات. ولما ثبت للمحكمة أن لويس بريّ من مقتل المرأة وأن قتله للتاجر لم يكن إلا دفاعاً عن نفسه صرّحت ببراءته فلم يلبث أن أطلق سراحه وورثت خطيبته تلك الثروة كلها تبعاً للشريعة الانكليزية لأنها اقرب الورثة من الميت ثم زُفّت إلى خطيبها فتمت لهما السعادة والغبطة واقاما يرتعان في بحاج المسرة والهناء بعد ما قاسيا من المشقة والعناء وكوفي كل من شارك ليكوك في تهرئة ولده على ما ابداه من المروءة والوفاء